يدور خارج البحرين، وداخلها، خصوصاً عندما تكشفت مؤامرة اتفاقية سايكس ـ بيكو و«وعد بلفور». وكانت بداية الجرح الفلسطيني في الضمير القومي العربي، حيث التآمر الدولي مع عدد من الحكام العرب، وهم يبدأون رحلتهم الاولى معاً، وكذلك يبدأ عند الجماهير العربية شعور جديد بهوية المأساة القومية والتمزّق العربي، وكأن قدر العرب، في التاريخ المعاصر، مرتبط، جزئياً، بالجرح الفلسطيني العميق، الكامن في مؤامرة الاغتصاب والاستيطان، الفريد في نوعه في التاريخ الانساني الحديث. وعلى الرغم من البعد الجغرافي، يومذاك، ما بين البحرين وفلسطين وصعوبة المواصلات والاتصالات، فان ذلك لم يعن «انفصام الروابط القومية بين البحرين وبقية شقيقاتها، قبل بزوغ نجم الصحافة؛ اذ كانت تعيش قضاياها الوطنية وصراعاتها الحزبية من متابعة صحفها الوافدة. على ان أهمّ قضية قومية واجهتها الصحافة، في بداية عهدها، [هي] قضية فلسطين، التي هزّت كيان الوطن العربي، وأيقظته من غفوته، بعد تنفيذ المؤامرة باعلان وعد بلفور [في] العام ١٩١٧»[٩]. كما تخطّت «جريدة البحرين الحصار المضروب حولها من قبل الرقابة البريطانية وتصادمها مع ارادة الحلفاء ودعائية الحرب؛ اذ لم يمنع صاحبها من التعبير عن أماني المنطقة في الاتحاد؛ كما لم يمنعه من الخوض في موضوعات الوحدة العربية والمشكلة الفلسطينية»[١٠]. ثمّ كتب احد الوطنيين مقالة ساخنة انتقادية في «جريدة البحرين»، في عددها الرقم ١٢، من أيار (مايو) ١٩٣٩، تحت عنوان «حول مشروع فلسطين الجديد»، جاء فيها: «أُذيع الكتاب الابيض بعد التسويف، وبعد ان ظلّ يترجّح بين التحوير والتحريف، فاذا به يطابق المأثور من السياسة البريطانية. أرادت [بريطانيا] ان ترضي العرب وترضي الصهيونيين، فأغاظت العرب وأغضبت، يا للهول، الصهيونيين»[١١].

لقد واصلت الصحافة المحلية مسيرتها الكتابية، دفاعاً عن القضية الفلسطينية، في فترات الصحافة المتقطعة، التي تزامنت معها. وكان الضمير الصحفي والواجب القومي محرّكين، دائماً، لهذه القضية، الى ان تمّت مصادرة الصحافة العلنية لأكثر من عقد، وعودتها في العام ١٩٦٦. ونتيجة هذا الانقطاع، فقدت القضية الفلسطينية، في البحرين، سلاحاً تحريضياً هامّاً، كان بامكانه ان يساهم في المعارك السياسية على صعيد انماء الوعي القومي والوطني. وظلّت الكتابة في نطاق الصحافة السرية محدودة الانتشار، على الرغم من مواصلة دفاعها عن الشعب والقضية الفلسطينية. فكان المنشور والكتابة على الجدران عملاً اعلامياً وسياسياً بسيطاً، ساهمت في ترسيخه الحركة الوطنية البحرانية في ازقّة البلاد، ومدنها، وقراها، واحيائها.

الأعمال التطوعية في سبيل الدعم والمساندة

عندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية، وهشّمت السائد في عالم الركود، فرضت على الانظمة العربية، قبل جماهيرها، القبول بالامر الواقع، والتعامل مع هذه الحقيقة، حتى وانْ كانت على حذر، بهدف احتواء تأثير الانتفاضة العكسي على رجل الشارع العادي الذي قد يحدث الانقلاب غير المحمود. فحين شعرت السلطات في البحرين بازدياد وتائر المطالبة بدعم الانتفاضة الفلسطينية، سارعت الى تشكيل «اللجنة الاهلية لدعم الانتفاضة في الاراضي المحتلة»، محاولة ترأس قمّة الهرم الاجتماعي لأية مبادرة شعبية اجتماعية تطوّعية تأتي من رغبة الناس، وخصوصاً عندما تكون ذات صبغة سياسية، ولها مضاعفات جماهيرية وتعبوية. فالتاريخ السياسي للبحرين داخل الحركة الوطنية والاجتماعية، منذ البداية، كان يعطي أهمية استثنائية للقضية الفلسطينية، بابتكار الوسائل الفعّالة والمتواضعة والعملية لدعم أية قضية حياتية، سواء أكانت سياسية أو اجتماعية. ففي